إقتران صفتي التواب الرحيم المتعلقة بالله تعالى في القرآن الكريم (دراسة تعبيرية)

م. د. صالح محمد حميد
كلية الإمام الأعظم «رحمه الله» الجامعة
قسم أصول الدين

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه ومن والاه، فإنّ من أجل العلوم وأعظمها العلم بأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى؛ لذلك أحببت أن يكون موضوع بحثي في صفتين جليلتين، وهما(التوبة والرحمة) لمّا لهما من أثر بالغ في حياة المسلم، بحيث تجعله من عبد مذنب مقصر إلى عبد محبوب ومرحوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البَقَرَة الآية ٢٢٢].

وقد أسميت بحثي: (اقتران صفتي التواب الرحيم المتعلقة بالله تعالى في القرآن الكريم، دراسة تعبيرية)، وقد أخترت الدراسة التعبيرية لِما لها من أثر في إبراز جمالية النظم القرآني ومن إظهار الدقة في اختيار اللفظة، فالتعبير القرآني تعبيراً فريداً في علوه وسموه؛ وقد قسمت بحثي إلى تمهيد وثلاثة مباحث: ذكرت في التمهيد: إحصائيات عن صفتي (التواب الرحيم) في القرآن الكريم، ومفهوم (التوبة والرحمة)، في اللغة، وفي حق الله (سبحانه وتعالى)، فقد ورد اسم الله (التواب) مفرداً في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، وورد اسم الله (الرحيم) مفرداً في مائة وثلاثة وسبعين موضعاً، واقترن اسمه سبحانه (التواب) باسمه سبحانه (الرحيم) في القرآن الكريم في تسعة مواضع، وقد بينت أنّ معنى التوبة: هي الرجوع عن الذنب، وأمّا الرَّحمة: فهي منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركَّب سبحانه في طباع النَّاسِ الرِّقَة ، وتفرّد هو سبحانه بالإحسان.

وذكرت في المبحث الأوّل: اقتران صفتي التواب الرحيم في القصة القرآنية، والمغازي، وفي المبحث الثاني: اقتران صفتي التواب الرحيم في القرآن الكريم في الأحكام الشرعية، وفي المبحث الثالث: اقتران صفتي التواب الرحيم في القرآن الكريم في التوجيه والإرشاد.

وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت أيها.

Summary:

Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God, his family, his companions and those who followed him, because for the sake of science and the greatest of which is knowledge of the names of God Almighty and His Most Beautiful attributes. Therefore, I liked being the subject of my research in two great qualities, namely (repentance and mercy) because they have a profound impact on the life of a Muslim, so that you make him from a slave of guilt to a slave to a beloved and merciful slave .The Almighty said:(Allah loves those who repent and love those who are purified). Surat al-Baqarah / verse ٢٢٢.

I called my research: (The conjugation of the two attributes of the Merciful Repentance related to God Almighty in the Noble Qur'an, an expressive study). I chose the expressive study because of its effect on highlighting the aesthetic of the Qur'anic systems and in showing the accuracy in choosing the word. I divided my research into a preamble and three topics: I mentioned in the preface: statistics on the qualities of (the Most Merciful Repentance). The Holy Qur'an and the concept of (repentance and mercy) in the language and in the truth of God (Glory be to Him), the name of God (the repentant) is mentioned singularly in the Qur'an The Holy One in eleven places, and the name of God (the Merciful) was mentioned singly in one hundred and seventy-three places, and his name (al-Tawab) was associated with his name, Glory be to Him, (the Most Merciful) in the Noble Qur'an in nine places. It has two meanings: tenderness and charity, so His Majesty installed tenderness in the character of people, and He, glory be to Him, is uniquely charitable.

I mentioned in the first topic: the conjugation of the two attributes of mercy repentance in the Qur'an story and the magazi. The second topic: the conjugation of the two attributes of mercy repentance in the Noble Qur'an in legal rulings, and in the third topic: the conjunction of the two attributes of mercy repentance in the Noble Qur'an in guidance and counseling. In addition, the research concluded with the most important results that you reached. I ask God to reconcile, accept and repay, that He is Hearer and Responsive.

المقدمة

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التواب، غافر الذنب، وقابل التَّوب، شديد العقاب، الذي يتوب على التائبين مهما عظمت ذنوبهم إذا تابوا إليه وأصلحوا، ذي الطول لا إله إلا هو، يحب التوابين، ويغفر للمخطئين المستغفرين، ويقبل برحمته اعتذار المعتذرين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، الرحمة المهداة من رب العالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد؛ فإنّ من أجل العلوم وأعظمها العلم بأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى فهي العاصمة من الزلل والمُقيلة من العثرةِ والندم، والفاتحة لأبواب الرجاء والأمل، فإنّ النفوس تهفوا إلى مقارنة الذنوب والفواحش؛ لكنهّا عندما تعرف بأن الله يراها ويبصرها؛ تخافه سبحانه فتجانب المعصية، وعندما يقع الإنسان في الخطأ والمعصية، وهو يعلم أنّ الله (تواب رحيم)، فهذا العلم يجعله لا يقنط من رحمة الله وعفوه؛ لذلك أحببت أن يكون موضوع بحثي في صفتين جليلتين، وهما(التوبة والرحمة) لمّا لهما من أثر بالغ في حياة المسلم، بحيث تجعله من عبد مذنب مقصر إلى عبد محبوب ومرحوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البَقَرَة الآية ٢٢٢].

وقد أسميت بحثي: (اقتران صفتي التواب الرحيم المتعلقة بالله تعالى في القرآن الكريم، دراسة تعبيرية)، وقد أخترت الدراسة التعبيرية لِما لها من أثر في إبراز جمالية النظم القرآني ومن إظهار الدقة في اختيار اللفظة، فالتعبير القرآني تعبيراً فريداً في علوه وسموه؛ فإنه بهر العرب فلم يستطيعوا الإتيان بحديثٍ من مثله.

وقد قسمت بحثي إلى تمهيد وثلاثة مباحث:

ذكرت في التمهيد: إحصائيات عن صفتي (التواب الرحيم) في القرآن الكريم، ومفهوم (التوبة والرحمة)، في اللغة، وفي حق الله (سبحانه وتعالى).

وفي المبحث الأوّل: اقتران صفتي التواب الرحيم في القصة القرآنية، والمغازي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: قصة توبة نبي الله أدم (عليه السلام):

المطلب الثاني: قصة توبة بني إسرائيل من عبادة العجل.

المطلب الثالث: قصة غزوة تبوك، وقبول توبة الثلاثة المخلفين.

المبحث الثاني: اقتران صفتي التواب الرحيم في القرآن الكريم في الأحكام الشرعية: وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: وجوب طاعة الرسول ﷺ

المطلب الثاني : عقوبة الزنى

المبحث الثالث: اقتران صفتي التواب الرحيم في القرآن الكريم في التوجيه والإرشاد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : الإرشاد بالدعاء للنفس، وللذرية بالثبات على الإسلام .

المطلب الثاني: الإرشاد إلى الصدقة والتوبة، والترغيب فيهما .

المطلب الثالث: الآداب العامة التي يجب أن يتحلى بها المسلم.

المطلب الرابع : قبول توبة من أصلح وبيّن من أهل الكتاب .

وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت أيها.

التمهيد

وفيه: إحصائيات عن صفتي (التواب الرحيم) في القرآن الكريم، ومفهوم التوبة والرحمة .

أولاً: إحصائيات عن صفتي (التواب الرحيم) في القرآن الكريم.

ورد اسم الله (التواب) مفرداً في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، وورد اسم الله (الرحيم) مفردا في مائة وثلاثة وسبعين موضعاً، واقترن اسمه سبحانه (التواب) باسمه سبحانه (الرحيم) في القرآن الكريم في تسعة مواضع، في أربع سور، وهي (البقرة، والتوبة، والنساء، والحجرات)، وقد تقدم اسم الله (التواب) على اسم الله (الرحيم) في جميع هذه المواضع[١].

وإنّ اقتران هاذين الاسمين الكريمين(التواب الرحيم)، فيه تحبيب من الله تعالى للعباد، وترفق بهم، وخاصة المذنبين منهم، فهاتان الصفتان تدلان على المبالغة في قبول التوبة، وإفاضة الرحمة، والمعنى أنّ الذي يذنب ويعصي، عليه أن لا يقنط من رحمة الله وعفوه؛ لأنّ الله (تواب رحيم) مبالغٌ في قبولِ التَّوبةِ ومتكرم برحمته عن عقوبتهم بعد متابهم، قال أبو السعود: (وفي الجمع بين الوصفين وعدٌ بليغٌ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران)[٢].

ثانياً: مفهوم التوبة والرحمة.

التوبة لغة: هي الرجوع عن الذنب، وبابه قال، والتَوْبُ جمع توبة، تقول: تابَ إلى الله يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً: أي أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة [٣]. وتاب الله عليه غفر له وأنقذه من المعاصي فهو تواب، واستتابه سأله أن يتوب[٤].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (ت:١٣٨٨هـ)، (ص:١٥٦-١٥٧)، مادة (توب)، (ص:٣٠٧-٣٠٨)، مادة (رحم).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)،(٩٢/١)، وكلمات في ما اقترن من الأسماء الحسنى في كتاب الله: أ. د. أمير الحداد(ص:٣٢).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،(٩١/١)، مادة(توب)، ولسان العرب: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور (: ٧١١هـ)، (٢٢٣/١)، مادة(توب).

(٤) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت: ٧٧٠هـ)،(٧٨/١)، مادة(توب).

والتَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهي: ترك المعصية لقبحها والندم على ما صدر منه، والعزيمة على ترك العودة إليها[١].

وأمّا التوبة في حق الله سبحانه وتعالى: فهي من أسماء الله الحسنى (جل جلاله) التي عرّف نفسه بها، ومعنى التوّاب: هو الرجّاع بلطفه سبحانه إلى العبد، وتوفيقه لذلك والإحسان بقبوله، والكثرة مأخوذة من المبالغة في الإنعام[٢].

وجاء في فتح الرحمن: (أن التواب، هو الرَّجَّاعُ بقلوبِ عباده المنصرفةِ عنه إليَّه)[٣].

وقال السعدي، التواب: (هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين فكل من تاب إلى الله توبة نصوحا تاب الله عليه)[٤] .

الرحمة لغةً: (الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال: رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى واحد)[٥]. والرحمة: هي رقّة تقتضي الإحسان إلى المَرْحُوم، وقد تستعمل مرة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ الله فلانا، وإذا وصف به الباري سبحانه وتعالى، فليس يراد به إلّا الإحسان المجرّد دون الرّقّة، وعلى هذا روي أنّ الرَّحْمَةَ من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين رقّة وتعطّف[٦].

قال الفيروز آبادي: (الرَّحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركَّب سبحانه في طباع النَّاسِ الرِّقَه، وتفرّد بالإحسان)[٧]. وأمّا الرحمة في حق الله سبحانه وتعالى: فهي من أسماء الله الحسنى التي عرّف نفسه بها، ومعناها تخليص العباد من أنواع الآفات، وإيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات[٨].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ) (ص: ١٦٩)، مادة (توب).

(٢) ينظر: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)،(٢/ ١٦٢).

(٣) فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي(ت: ٩٢٧ هـ)، (١/ ٢٣١).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي(ت: ١٣٧٦هـ)، (ص:٢٥).

(٥) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت: ٣٩٥ هـ)،(٢/ ٤٩٨)، مادة(رحم)، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)،(٣/ ٣٣٦)، مادة(رحم).

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن(١/ ٣٤٧)، مادة(رحم).

(٧) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت: ٨١٧هـ)،(ص: ٨٠٥)، مادة(رحم).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي(ت: ٦٠٦هـ)،(١/ ٢٤)

أو هي الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية[١].

وقيل: هي إرادته سبحانه النعمة والخير، إلى من يرحمه، ودفع الشر عنه[٢].

أو هو كثير الرحمة لعباده بدقائقها، كالزيادة في الجمال، والعلم، وقوّة السمع، وحدّة البصر[٣].

وقال الطبري: (الرحيم: هو ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة)[٤].

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٤).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٦٥)، وروح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت: ١١٢٧هـ) (١/ ٨).

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري (١/ ٢٨)

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي الطبري (ت٣١٠هـ)، (٣/ ١٧١)

المبحث الأول

إقتران صفتي التواب الرحيم في القصة القرآنية، والمغازي

- **وفيه ثلاثة مطالب :**
- **المطلب الأول: قصة توبة نبي الله أدم (عليه السلام):**

قد ترد القصص في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، ومناسبات متعددة وهذه المناسبات التي تساق القصص القرآنية لها، هي التي تحدد موضوع القصة، والجانب الذي يعرض منها، والطريقة التي تأتي عليه؛ وبذلك تؤدي دورها المطلوب، وتحقق غايتها ، وتلقي إيقاعها[١]، ولو تأملنا سورة البقرة لوجدنا صورة جميلة من هذه الصور وهي تحكي قصة توبة نبي الله آدم (عليه السلام)، بقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البَقَرَة الآية ٣٧].

أنّ القرآن الكريم يعرض قصة نبي الله آدم (عليه السلام)، عرضا دقيقاً ومحكما، يقف أمامه الكل متحيراً، وخاشعا مستسلما، ويتلقاه العقل في مختلف الأطوار مسلّما وراضيا، لا يستطيع أن يجد فيه ثغرة للنقض أو الطعن[٢].

وهنا سنركز على جانب من جوانب هذه القصة ألا وهي توبة نبي الله آدم (عليه السلام)، بعد ان أكل من الشجرة، وكيف تاب الله عليه. فبعد أن اسكن الله سيحانه وتعالى آدم (عليه السلام) الجنة، نهاه من أن يقرب شجرة من أشجار تلك الجنة، ، وأباح له الأكل من غيرها رغدا من حيث شاء، بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البَقَرَة الآية ٣٥]. فأَزلّهما الشَّيطان، فحملهما على الأكل من هذه الشجرة، أو بمعنى أزلهما عن الجنة فأبعدهما عنها. فقال الله تعالى لآدم وحواء وإبليس، اهبطوا إلى الأرض بعضكم عَدُوٌّ لبعض[٣]. ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ ﴾ [البَقَرَة الآية ٣٧] أي: استقبالها بالأخذ والقبول والفهم، والعمل بها حين علمها، وهذه الكلمات كما قال ابن عباس (رضي الله عنهما)، هي في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأَعۡرَاف الآية ٢٣]، وقيل غيرها، فقبل الله سبحانه وتعالى توبة آدم (عليه

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)،(٢١٠/١).
(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: ١٣٩٠هـ)،(٥٨/١).
(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)،(١٢٩/١)، وتفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)،(٢٣٧/١)

السلام)، وعاد إليه بفضله ورحمته[١].

قال ابن عطية: (وإنّما خص الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) بالذكر في التلقي والتوبة وقبول التوبة، وحواء مشاركة له في ذلك بالإجماع؛ لأنّه هو المخاطب من أول القصة؛ فلذلك كملت القصة بذكره وحده، وأيضاً فلأنّ المرأة حُرمة ومستورة فأراد الله سبحانه الستر لها؛ لذلك لم يذكرها في المعصية)[٢].

وأمّا اللمسة البيانية في ختم هذه الآية المباركة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البَقَرَة الآية ٣٧]. أنّ كلمة تواب تدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يأخذ عبده بذنب واحد؛ لأنّها صيغة مبالغة من التوب بمعنى الرجوع فإذا وصف به الله تعالى، كان بمعنى كثير الرجوع عن العقاب إلى المغفرة وقبول التوبة. قال الخطّابي: (التواب : هو الذي يتوب على عبده، ويقبل توبته، وكلما تكررت التوبة تكرر القبول)[٣].

والمبالغة في صفة التواب تأتي من ناحيتين، الأولى: أن الأمر يتكرر كثيراً من شخص واحد. والثاني: أن الأمر يقع مرة واحدة ولكن من أشخاص كثيرين؛ لذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى تواب؛ لأنّ خلقه كثيرون، فلو اخطأ كل واحد منهم مرة واحدة فسيكون عدد ذنوبهم التي يتوب الله تعالى عليها كمية كبيرة وهائلة، وكذلك إذا وجد من يذنب عدة مرات في اليوم. فإن الله يكون توابا عنه أيضاً إذا تاب واتجه إليه سبحانه؛ فعلى هذا تأتي المبالغة مرة في الحدث وإن كان الذي يأتي به شخص واحد، ومرة تأتي المبالغة في الحدث؛ لأن من يقوم به أفراد كثيرون ومتعددون. وآدم عليه السلام أذنب ذنبا واحدا يقتضي أن يكون الله تائبا، ولكن ذرية آدم عليه السلام من بعده سيكونون خلقا كثيرا فتأتي المبالغة هنا من ناحية العدد الكثير، فكلمة تواب تدل على أنّ المذنب يُضبط بعد مرتين أو ثلاث وليس من المرة الأولى، فالله يستر عبده مرة ومرة، ولكن إذا ازداد وتمادى في المعصية يوقفه الله عند حده؛ وهذا هو معنى تواب[٤].

أمّا اقتران لفظ الرحيم مع التواب، بقوله تعالى: ﴿ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البَقَرَة الآية ٣٧]. فهذا يدل على أنّ الله سبحانه وتعالى تواب برحمته؛ لأنّ لفظ الرحيم يدل على تفضل الله تعالى مع التوبة بالرحمة، ورحمته لآدم هنا بأن أقال عثرته وصفحة عن عقوبته؛ إذن فقبول التوبة سببه رحمة الله بعبده، فالرحيم جار مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن العباد يُعدُّ ضرب من الرحمة بهم؛ ولأنّ التوبة تقتضي نفع التائب بعدم العود

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)،(١/ ١٥٨، ١٥٩)، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، (١/ ٩٨)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(١/ ١١٤).

(٣) شأن الدعاء: لأبي سليمان حمد بن محمد البستي، المعروف بالخطابي(ت: ٣٨٨هـ) (ص:٢٠)

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، (١/ ٢٧٦) .

للذنب مرة أخرى، وأمّا الإثم المترتب على ذلك الذنب فكان من العدل أن يتحقق عقابه؛ لكن رحمة الله سبقت عدله هنا بوعد منه سبحانه، فبالجمع بينهما (التواب الرحيم)، وعداً عظيماً للتائب بالإحسان مع العفو والغفران[١].

قال الآلوسي في مناسبة ذكر الرحيم بعد التواب:(إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب كما زعمت المعتزلة بل على سبيل الترحم والتفضل، وأنّه سبحانه سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعده سبب قربه، فسبحانه وتعالى من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما أعظمه)[٢] .

- **المطلب الثاني: قصة توبة بني إسرائيل من عبادة العجل.**

إنّ اتخاذ بني إسرائيل للعجل، وعبادته في غيبة نبيهم موسى(عليه السلام) عندما ذهب إلى ميقات ربه، مُفَصّلَة في سورة الأعراف وطه. وهنا يُذّكِرهم بها فقط، أمّا لماذا هذا التطهير القاسي؛ فلِأنّ الطبيعة المنهارة الخاوية الموجودة في نفوس بني إسرائيل، لا تقومها إلا كفارة صارمة وحادة، وتأديب عنيف شديد في طريقته وفي حقيقته[٣]، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤].

والمعنى: أي اذكر أيها الرسول الكريم، قول موسى (عليه السلام) لقومه الذين أتخذوا العجل إلها يعبدوه، حين ذهب لمناجاتي ربه، فقال لهم موسى (عليه السلام): ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤] يا قوم إنكم بعبادتكم العجل قد أضررتم بأنفسكم، وأنقصتم مالها عند ربها. ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤] أي: فلتكن توبتكم إلى من خلقكم وميّز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة، وفي قوله تعالى (إلى بارئكم) إشارة إلى أنهم بلغوا غاية الجهل والطيش، إذ تركوا عبادة البارئ الخالق، وعبدوا البقر؛ لذلك كانت توبتهم بأن يقتل البريء الذي لم يعبد العجل، المجرم الذي عبد العجل،﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ ﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤] أي ما ذكر من التوبة وقتل النفس أنفع لبني اسرائيل عند الله من العصيان والإصرار على الذنوب؛ فإنّ هذا القتل يطهرهم من الرجس والدنس الذي

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، (١/ ٩٣)، والتحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، (١/ ٤٣٩).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، (١/ ٢٣٩).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن (١/ ٧١).

اقترفته أنفسهم ويجعلهم أهلا للثواب والعطاء؛ وذلك لأنّ حالتهم كانت دائرة بين ضرر الدنيا وضرر الآخرة، والأول أولى بالتحمل[١].

أمّا تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤] ، ففيه لمساتٌ تعبيرية جميلية، منها: بما أنّ التواب صيغة مبالغة، فيكون المعنى: أنّ الله وحده الكثير التوبة على عباده بتوفيقهم لها وقبولها منهم، وإن تعددت قبلها جرائمهم وعظمت ذنوبهم، الرحيم بهم، فلولا رحمته لعجل بإهلاكهم ببعض ذنوبهم العظيمة؛ ولا سيما الشرك به، وعبادتهم العجل[٢]. قال ابن عاشور: (وجمع التواب مع الرحيم؛ لأنَّ توبته سبحانه وتعالى عليهم كانت بالعفو عن زلة اتخاذهم العجل وهي زلة عظيمة وكبيرة لا يغفرها إلا الغفار، وبالنسخ لحكم قتلهم وذلك رحمة فكان للرحيم موقع عظيم هنا وليس هو لمجرد الثناء)[٣].

وأنّ قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤] تذييل لقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾ [البَقَرَة الآية ٥٤]؛ فإن التوبة بقتل بعضهم بعضاً لما كانت شاقة وثقيلة على النفس هونها سبحانه وتعالى؛ بأنه هو الذي يوفقهم لها ويسهلها عليهم، ويبالغ في الإنعام على من أتى بها[٤].

- **المطلب الثالث: قصة غزوة تبوك، وقبول توبة الثلاثة المخلفين.**

إنّ قصة الثلاثة الذين خُلفوا عن غزوة تبوك، فيها عبرٌ ومواعظ كثيرة، وهذه من أهم مقاصد القصة القرآنية، فهي ترد لنستهل منها العبر والمواعظ، ففي كل فقرة من فقرات هذه القصة عبرٌ ومواعظ، فإذا نظرنا مثلاً إلى مسألة الامتحان والاختبار الذي مروا به وكيف أمتحنهم الله تعالى بهذا البلاء، فلم ينزل القرآن الكريم بالعفو عنهم وقبول توبتهم مباشرة، إنمّا جعلهم ينتظرون أياماً طويلة قيل إنّها بلغت خمسين يوماً[٥]، فهذه الخمسون يوما التي قضاها الثلاثة الذين خلّفوا كانت أشبه ما يكون ببوتقة صهرت فيها نفوسهم، وصفّتها مما كان قد علق بها من حب للدنيا، ولو جاءت التوبة عليهم قبل أن يدخلوا في هذا الامتحان، ويعيشوا فيها تلك الأيام والليالي القاسية، لما وجدوا أنفسهم على تلك الحال التي استقبلوها بها، فتلك التجربة القاسية، هي التي

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣/ ٥١٥)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (١/ ٨١)، وتفسير المراغي (١/ ١٢٠).

(٢) ينظر: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، (١/ ٢٦٦).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٥٠٥)

(٤) ينظر: روح المعاني (١/ ٢٦٢).

(٥) ينظر: مسند أحمد بن حنبل : لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، رقم (١٥٨٢٧)، (٣/ ٤٥٦).

كشفت عن هذا المعدن الكريم لتلك النفوس الكريمة[١].

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التَّوْبَة الآية ١١٨] .

فالثلاثة الذين خُلفوا هم: كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصد للمخالفة، والقصة طويلة رويت في كتب الحديث والسّير[٢]، نختصرها على لسان كعب بن مالك: قال كعب: كان الرسول ﷺ يحب حديثي، فأبطأت عنه في الخروج وقد سأل عني في تبوك، فلمّا عاد إلى المدينة اعتذر المنافقون فعذرهم، وأتيته وقلت: إن زادي وراحلتي كانتا حاضرتان، واحتبست بذنبي، فاستغفر لي يا رسول الله فأبى ﷺ ذلك، ثمّ نهى عن مجالستنا نحن الثلاثة، حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت، حتى إذا مضى خمسون يوما فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ [التَّوْبَة الآية ١١٧] ، وأنزل قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التَّوْبَة الآية ١١٨] .

وتظهر جمالية التعبير القرآني بختم هذه القصة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التَّوْبَة الآية ١١٨] ، فإن أصل التوبة الرجوع ومعناه، ثمّ تاب عليهم ليرجعوا إلى حالتهم السابقة، يعني إلى عادتهم الأولى في الاختلاط بالناس؛ لتسكن نفوسهم بذلك وهذا رحمةً من الله بهم[٣].

وذكر (الرحيم)، عقب ذكر (التواب)؛ للإشارة على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والجود والفضل والإحسان؛ وأنّه سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء[٤].

قال أبو السعود: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ [التَّوْبَة الآية ١١٨] أيّ المبالغ في قبول التوبة كماً وكيفاً، وإن كثرت الجنايات وعظمت. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لأفانين العقاب)[٥].

(١) ينظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٧٣٠)، والتفسير القرآني للقرآن(٦/ ٩١٢).

(٢) ينظر: الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت: ٢٥٦هـ)، كتاب بدء الوحي.، باب ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التَّوْبَة الآية ١١٨] رقم(٤٦٧٧)، (٦/ ٨٨).

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن(ت: ٧٤١هـ)،(٢/ ٤١٩).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب(١٦/ ١٦٦)، واللباب في علوم الكتاب(١٠/ ٢٣٤).

(٥) إرشاد العقل السليم(٤/ ١٠٩).

المبحث الثاني

إقتران صفتي (التواب الرحيم) في الأحكام الشرعية

- **وفيه مطلبان:**
- **المطلب الأول: وجوب طاعة الرسول ﷺ**

يقرر القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة، مبدأ عاماً وهو وجوب طاعة الرسول ﷺ، بل وطاعة كل رسول مرسل أرسله الله سبحانه وتعالى، فإرسال الرسل والأنبياء إنّما جاء لإسعاد البشرية، وإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، وتصحيح العقائد الزائغة، والإرشاد إلى الأخلاق القويمة، والفضائل الكريمة، ولإشاعة المودة والمحبة بين الناس، وانتزاع الأحقاد، والقضاء على المنازعات والخصومات، ولكي لا يحتج أحد يوم القيامة بأنّه لم يكن يعلم الخير من الشر، والحق من الباطل، والعبادة الصحيحة لله تعالى من العبادة الباطلة، فإرسال الرسل من أجل هذه الغايات والمصالح الكبرى يتطلب وجوب طاعتهم فيما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه[1]. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النِّسَاء الآية ٦٤]. فهنا نجد أنّ النص القرآني يقرر أنّه ما أرسلنا من رسل إلا وقد فرضنا طاعتهم على من أرسل إليهم، وتلك الطاعة واجبة بأمر الله سبحانه وبإذنه، فطاعت الرسول من طاعة الله تعالى، ومعصيته من معصية الله تعالى، ثمّ ترشد الآية المذنبين والعصاة والمنافقين، إذا وقع منهم ذنب أو معصية أن يأتوا إلى رسل الله ﷺ، ويستغفروا الله على ذنوبهم عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإذا فعلوا ذلك، تاب الله عليهم، وغفر لهم ورحمهم[2]، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النِّسَاء الآية ٦٤]. وقد روى الماوردي وابن كثير والثعلبي وغيرهم عند تفسير هذه الآية: الحكاية المشهورة عن العتبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النِّسَاء الآية ٦٤]، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (١/٣٣٩).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٨/٥١٧)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، (٢/٢٤٢).

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم ...

ثمّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبى، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له[1].

أمّا ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النِّسَاء الآية ٦٤]؛ فلأنّ السياق يقتضي ذلك، فالآيات المتقدمة على هذه الآية، تكلمت عن ذنبٍ عظيم أقترفه أناس من المسلمين، وهو أنّهم لم يطيعوا رسول الله ﷺ، ولم يرضوا بحكمه، وطلبوا حكم غيره، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال:(كان أبو برزة الأسلميّ كاهناً يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين)[2].

فالسياق يتكلم عن ذنبٍ لم يكن ظلماً لأنفسهم فقط، بل تعدى شيء منه إلى رسول الله ﷺ؛ لذلك توبتهم في أنفسهم لوحدها لا تكفي، بل لا بد في توبتهم وندمهم على ما صدر منهم أن يظهروا ذلك للرسول ﷺ؛ ليصفح عنهم فيما اعتدوا به على حقه، ويدعو الله تعالى أن يغفر لهم إعراضهم عن حكمه، لذلك ناسب أن تُختم الآية بقوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النِّسَاء الآية ٦٤]، لأنّ ذنبهم عظيم وكبير وتعدى من أنفسهم إلى رسول الله، ناسب أن تكون الخاتمة بـ(التواب الرحيم)، فالتواب هو كثير التوبة على عباده وإنّ عظمت جرائمهم وتعدد، و(الرحيم) الذي يرحم عباده ولا يُعجّل لهم الهلاك والعذاب بالذنوب الكبرى[3].

- **المطلب الثاني: عقوبة الزنى.**

أوصى الله سبحانه وتعالى، بالنساء خيراً في مواضع كثيرة، فقد أوصى بالإحسان إليهن، ومعاشرتهن بالمعروف، والمحافظة على أموالهن، وعدم أخذ منها شيء إلا إذا طابت نفسهن بذلك، وهنا ذكر الإحسان إليهن، لكن عن طريق مختلف، وهو بالتشديد عليهن فيما يأتينه من الذنوب، فهذا التشديد في الحقيقة هو إحسان إليهن، إذ الإحسان تارة يكون بالثواب، وأخرى بالزجر والعقاب، للكف عن المعاصي والذنوب، التي

---

(١) ينظر: الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) ، وتفسير القرآن العظيم(٢/ ٣٤٨)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ت: ٨٧٥هـ)،(٢/ ٢٥٧)، وقد روى هذه الحكاية الإمام محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، في المجموع (٨/ ٢١٧) وفي الإيضاح (ص٤٩٨)، وزاد البيتين التاليين:

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا مني السلام عليكم ما جرى القلم

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، (٣/ ٩٩١).
(٣) ينظر: تفسير المنار (٥/ ١٩٠).

توقع الشخص في الدمار والبوار، ومبنى الشرائع على الإنصاف والعدل، والابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط، ومن أقبح الذنوب والعصيان الزنا، ولا سيما من النساء، لأنّ الفتنة بهنّ أكثر وأبلغ، والضرر منهن أخطر وأشد؛ لِما يفضي إليه من توريث أولاد الزنا وانتسابهم إلى غير آبائهم، وإلى غير ذلك من الأضرار[١]، لذلك شدد الله على مرتكبات هذا العمل بالعقوبات الشديدة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ [النِّسَاء من الآية ١٥ الى الآية ١٦] أي: أنّ اللاتي يأتين بالزنا والمقصود بها المرأة الثيب، ووصفت بالفاحشة لشناعتها وقبحها. فاطلبوا شهادة أربعة رجال أحرار من رجالكم المؤمنين العدول، فان شهد الرجال الأربعة بفعلها فاحبسوهن في بيوتهم وامنعوهن من الخروج منها، عقوبة لهن إلى أن يمتن أو يجعل الله لهن طريقا آخر غير الحبس. ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] أي: واللذان يفعلان الفاحشة والمراد به البكر هنا، فآذوهما بالتوبيخ والتقريع والضرب والإهانة؛ إلى أن يتوبا عن الفاحشة ويصلحا سيرتهما فكفّوا عن الإيذاء لهما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] أي: كثير التوبة على الخطائين المذنبين، وعظيم والإحسان والرحمة، الذي من إحسانه وفقهم للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عن ما صدر منهم[٢].

قال القاضي ابن العربي: (اجتمعت الأمة على أن هذه الآية ليست منسوخة؛ لأنّ النسخ إنّما يكون في القولين المتعارضين من كل وجه، اللذين لا يمكن الجمع بينهما بحال، وأمّا إذا كان الحكم ممدودا إلى غاية، مثل ما كان في هذه الآية، ثمّ وقع بيان الغاية بعد ذلك فليس بنسخ؛ لأنّه كلام منتظم متصل لم يرفع ما بعده ما قبله ولا اعتراض عليه)[٣]، والحقيقة أنّه لم يحدث إجماع باعتبار هذه الآية غير منسوخة، فهناك أراء كثيرة، تقول أنّ هذه الآية منسوخة[٤] بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النُّور الآية ٢]، والذي أراه راجحا هو قول ابن العربي .

---

(١) ينظر: تفسير المراغي(٤/٢٠٥).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، (١/٣٦٢)، و معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، (٢/٣٩)، وبحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (١/٢٨٨).

(٣) أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، (١/٤٥٧).

(٤) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، (ص:٣٢)، وناسخ القرآن ومنسوخه: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (ص:١١٠).

أمّا تذييل هاتين الآيتين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] ، فللتناسب الجميل مع السياق، فإنّ قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] أي أنّ الله طلب الإعراض عنهما والكف عن أذيتهما بالقول والفعل، لأنّه: ﴿ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] فيعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته إذا تاب إليه من ذنبه؛ إذن فالجملة جاءت تعليلاً للأمر بالإعراض؛ فعلّة الإعراض عنهما؛ لأنّ خالقهما كثير التوّب على عباده رحيما بهم[١].

وهناك لفتة تعبيرية جميلة أشار إليها أبو زهرة في تفسيره: وهي أنّ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] أنّ المقصود بالإصلاح هنا هو إصلاح النفس والعمل، وذلك دليل التوبة الصادقة، وقد قَرَن الله سبحانه وتعالى التوبة دائما بالعمل الصالح، مما يدل على أنّ العمل الصالح دليل الإقلاع عن الذنب؛ فإذا كانت توبة وعمل صالح؛ فإن الله تعالى حينئذ يقبل التوبة، ولذا ذيل الله تعالى الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] والتوبة من الله هنا أُكدت بأربع تأكيدات، بـ«إن»، وبـ«كان» التي تدل على الدوام، وبصيغة المبالغة « توابا «، وبالإشارة إلى أن ذلك من رحمته التي وسعت كل شيء[٢].

وللشعراوي (رحمه الله)، التفاتة جميلة هنا حين يتكلم عن سبب تشريع التوبة، وفائدة ذكر صفة (الرحيم)، بعد صفة (التواب)، : فحين شرع الله تعالى التوبة، فذلك لأنّ الإنسان ضعيف، وقد يضعف في يوم أمام معصية من المعاصي، وليس معنى ذلك أن الله سيطرده من عبوديته، بل سبحانه حين شرع العقوبة على العاصي، حتى لا يُخرِج الذي اختار الإسلام وعصى، من حظيرة الإسلام أو التكليف، ولو فرضنا أن الحق تبارك وتعالى لم يشرع التوبة لصارت اللعنة والطرد مصير كل من يضعف أمام شهوته، ولصار العاصي متمرداً لا يأبه ولا يلتفت من بعد ذلك إلى التكليف؛ لأنّه مطرود، فيتكلم في أعراض الناس ويرتكب كل الشرور. اذن فساعة شرع الله التوبة، سدَ على الناس باب الذين يفعلون ذنباً ثمّ يستمرون فيه، ومع ذلك فسبحانه حين تاب على العاصي، رحم من لم يعص، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] فلو قال الحق إنّه تواب فقط؛ لأذنب كل واحد منا لكي يكون الوصف معه وقائم به، ولكنه أيضاً قال: ﴿ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٦] أي أنّه يرحم بعضاً من خلقه فلا يرتكبون أي معصية من البداية، فالرحمة ألا تقع في المعصية[٣].

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (٤/ ٢٠٦)

(٢) ينظر: زهرة التفاسير (٣/ ١٦١٢).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (٤/ ٢٠٦٧).

المبحث الثالث

إقتران صفتي التواب الرحيم في التوجيه والإرشاد

- **وفيه أربعة مطالب:**
- **المطلب الأول : الإرشاد بالدعاء للنفس، وللذرية بالثبات على الإسلام .**

إن الدعوة المستجابة قد تستجاب، ولكنها تتحقق في الوقت الذي يقدره الله تعالى بحكمته، غير أن أغلب الناس يستعجلون، وقد يملون ويقنطون، فإنّ الاستجابة لدعوة أنبياء الله إبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)، كانت هي بعثة رسولنا الكريم ﷺ، وكانت الاستجابة بعد قرون وقرون، وفى هذا يقول نبينا الكريم ﷺ عن نفسه: (دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي)[١]. وبذلك تتبين الصلة بين الإسلام ودعوة إبراهيم واسماعيل (عليهم السلام). وهذا الدعاء كان محفوفًا بالعمل، فهما يعملان بأيديهم، ويحملان على عاتقهما، وقلوبهما ضارعة بالدعاء وألسنتهما لاهجة بالثناء على الله تعالى، والتقرب إليه[٢]، قال تعالى حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام): ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] . أي إن إبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)، كانا يقولان في دعائهما وهما يرفعان قواعد البيت: ربنا اجعلنا مخلصين لك في الاعتقاد، منقادين لك بالطاعة، فإنّ المقصود بالإسلام الانقياد والطاعة والخضوع للخالق تبارك وتعالى، وليس المراد منه الأمة الإسلامية خاصة. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] أي واجعل من ذريتنا جماعة منقادة ومخلصة لك ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] أي وعرّفنا مواضع عبادتنا، فالنسك هو العبادة؛ لكن غلب إطلاقه على عبادات الحج. ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] أي ووفقنا للتوبة والرجوع إليك من كل حال أو عمل يشغلنا عنك[٣].

وفي ختم هذه الآية بهاتين الصفتين الجليلتين ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] ، معاني تعبيرية جميلة ولمسات بيانية ممتعة، وهي أنّه إذا تأملنا الآيات القرآنية التي خُتمت بصفتي ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] ، لوجدناها كلها جاء السياق فيها يتكلم عن تقصير ومخالفات وذنوب وفواحش، وهذه

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: (١٢٧/٤)، رقم (١٧١٩٠)، تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن (١١٤/١)

(٣) ينظر: بحر العلوم (٩٣/١)، وروح المعاني (٣٨٣/١)، وتفسير المراغي (٢١٦/١).

المخالفات تحتاج لـ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] حتى يغفرها ويعفو عن مرتكبها؛ إلا هذه الآية فقد ذُيلت بصفتي ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨] من غير وجود لمُخالفات، أو ذنوب أو معاصي، فهي جاءت بعد أنّ رفع إبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام) قواعد البيت، أي جاءت بعد طاعة وليس معصية، والأنبياء معصومون عن المعصية؟.

والجواب عن ذلك هو أن التوبة معناها الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه، وهي على مراتب:

المرتبة الأولى وهي أدناها، وتكون بالإقلاع عن الذنوب والندم على ارتكابها والابتعاد عنها، وهذه تكون للعصاة الذين ارتكبوا كبائر أو أصروا على صغائر.

المرتبة الثانية: وهي متوسطة بين الأولى والثالثة، وتكون بالاستغفار عما يكون من خطأ أو نسيان، أو هفوات إنسانية فقط؛ مما يؤاخذ عليه الأبرار الأطهار، وهو الذي ينطبق عليه قول: (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

المرتبة الثالثة: وهي الإحساس بالتقصير في حق الله سبحانه وتعالى؛ لفرط إيمانهم، وقربهم من الله تعالى، وهذه توبة الأطهار من النبيين والرسل، فاستصحاب حال العبودية والاعتراف بالتقصير؛ إنما يكون شكرًا لما أولاهم ربهم؛ مما لا سبيل له إلى مكافأة بعمل؛ لذلك نفوسهم قريبة من الله عزوجل وهي تحس بالذل له، فيتوبون، ثم يتوبون[١]. وعلى ذلك يقاس قول النبي ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)»[٢]. فإنّ حضرة النبي ﷺ، كان أشد الناس اجتهادا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة به [٣].

وقيل أنّ سبب ختم هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٨]، على الرغم من عدم وجود ذنب من إبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)؛ لأنهما عَلِما أنّ من سيأتي بعدهما سيقع في الذنب والمعاصي فطلبا التوبة لذريتهما[٤].

وقيل: هو لإرشاد الأمة وتعليمها إياهم ما يقولون عند ارتكابهم الذنوب والمعاصي[٥].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (١/ ٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم (٦٣٠٧)، (٨/ ٨٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢ هـ)، (١١/ ١١٠).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (١/ ٥٨٨).

(٥) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: لأبي محمد محمود بن أحمد بن الحنفي، بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، (١٣/ ٤٨٤)،

- **المطلب الثاني: الإرشاد إلى الصدقة والتوبة، والترغيب فيهما .**

جاءت هذه الآيات المباركة لبيان فوائد الصدقة والحث عليها، وأن الله يقبل التوبة لمن قصّر في الجهاد بماله ونفسه، فهذه الآيات بينت أنّ الصدقات تُطهّر النفوس من أرجاس الشح والبخل والدناءة والطمع والجشع، وتجعلهم بعيدين عن أكل أموال الناس بالباطل من ربا وسرقة وغصب ، وغير ذلك، فتجعلهم أقرب إلى التوبة، من الاستمرار على الذنوب والمعاصي: فإن من يتعود على البذل في سبيل الله، فيعطي ما في يده أو ما أودعه في خزانته، في سبيل ابتغاء مرضات الله تعالى ومغفرته؛ فهذا يكن أرفع نفسا وأعز من أن يأخذ مال غيره بالباطل، فيكون أقرب للتوبة والطاعة، فإن الأموال التي هي محل تنازع وخصام، جعلها الله بالصدقات، وسيلة للتطهير والتزكية والتقارب والسلام[1]، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التَّوْبَة من الآية ١٠٣ الى الآية ١٠٤] والمعنى: أي خذ أيها الرسول الكريم، من أموال هؤلاء المقصرين، ومن غيرهم من المؤمنين، صدقة تطهرهم بها من دنس البخل والجشع والطمع والقسوة على الفقراء، وتزكى بها أنفسهم بها، وادع لهم واستغفر لهم ، فإن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم، فإن صلاة النبي عليهم، توجب سكون نفوسهم، والمعنى أن الله تعالى قد قبل صدقاتهم بقبول توبتهم. ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التَّوْبَة الآية ١٠٤] ، أي ألم يعلم أولئك التائبون أن الله تعالى يقبل التوبة الصادقة ، وفي هذه الآية وعد من الله تعالى لهم بقبول التوبة والمغفرة[2].

أمّا ختم هاتين الآيتين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التَّوْبَة الآية ١٠٤]، ففيه لمسة تعبيرية جميلة، ألا وهي أنّ هؤلاء الذين تخلفوا عن الغزو وجاءوا تائبين لك، وقدموا أموالهم أمامك، كانوا خائفين أن لا يقبل الله تعالى توبتهم وصدقاتهم، فأراد الله لهم أن لا يتشككوا؛ فقال: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التَّوْبَة الآية ١٠٤] وهذا استفهام تقريري يفيد: فليعلموا أن الله تعالى هو الذي يقبل التوبة، وهو الذي يأخذ الصدقة، وهو الذي يتوب ويرحم عباده، وليس شيء من هذا لأحد غيره، فلا تكونوا خائفين من عدم قبول توبتكم، وأكد هذا كله بقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التَّوْبَة الآية ١٠٤] ، قال أبو السعود: (فهذا تأكيدٌ لما عُطف عليه وزيادةُ تقريرٍ لما يقرره مع زيادةِ معنى ليس موجود في: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التَّوْبَة الآية ١٠٤] ، فإنه سبحانه المختصُّ المستأثرُ ببلوغ الغايةِ القصوى من قبول التوبةِ

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٨/١١).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، والمحرر الوجيز(٣/ ٨٩)، و تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠٧).

والرحمةِ وأن ذلك سُنةٌ مستمرةٌ له وشأنٌ دائم)[١].

أمّا عن تعقيب (التواب)، بـ(الرحيم)، فيقول ابن عاشور: (ولا شك أن قبول التوبة من الرحمة فتعقيب (التواب) بـ(الرحيم) في غاية المناسبة)[٢].

وإنّما أكد سبحانه وتعالى قبول التوبة لعباده بكل هذه التأكيدات؛ حتى لا يسرف العصاة والمذنبين؛ وحتى المنافقين على أنفسهم، فيظنون أنّ لا رجعة إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنّ اليأس والقنوط، يولدان النفرة، والنفرة تولد الكفر، والرجاء في رحمة الله تعالى يكون فيه الرجوع إلى الله، والرجوع إليه يكون معه الإيمان[٣]، ولذا قال تعالى: ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزُمَر الآية ٥٣] .

- **المطلب الثالث: الآداب العامة التي يجب أن يتحلى بها المسلم**

أدب الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، بآداب كثيرة، فإن التزموا بها دامت المودة والوئام بينهم، وإنّ هذه الآداب في الإسلام، ليست مجرد صفات ترفيه وتكميل؛ وإنّما هي من صلب تعاليم الدين، يحكمها مبدأ الثواب والعقاب، خلافاً لِما يظن بعضهم خطأ، بأن الأخلاق صفة كمالية لا تخضع للحساب والعقاب، وإنّ تَقدُم المجتمعات ورقيها إنّما هو بالأخلاق والآداب العالية[٤]؛ لذلك أمر الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية أن يبتعدوا عن ثلاث خصال، بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢] .

وهذه الخصال الثلاث المؤمرين باجتنابها هي: : كثير من الظن، والتجسّس، والغِيبَة، فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن ظن السوء، كظنك باهل الخير سوء وغيرها؛ والسبب هو: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢] ، والإثم: هو الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب، ونهى سبحانه كذلك عن التجسس، بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢]أي: لا تتبعوا عورات المسلمين، فلا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده، والأمر الثالث هو النهي عن الغِيبَة، بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢] والغِيبَة: هي ذكر الشخص بما يكره بغَيبَته حتى لو كان فيه، أنظر إلى قول النبي ﷺ، وهو يحذر من الغِيبَة: بقوله: «أتدرون ما الغِيبَة ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: «إن

(١) إرشاد العقل السليم (٤/ ١٠٠).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٥)

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٤٣٤)

(٤) ينظر: تفسير المراغي (٢٦/ ١٣٦) .

كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[١]، ثمّ نَفَّر سبحانه وتعالى عن الغِيبَة، بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢] فشبه الاغتياب، بأكل لحم الميت، المكروه للنفوس غاية الكراهة، وهذا تمثيل وتصوير لِما يناله المغتاب من عرض المغتاب له على افحش وجه، أي كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي[٢].

وما أحسن ما جاء به الترتيب في هذه الآية الكريمة، قال أبو حيان:(جاء الأمر أولاً باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم وهو الظن، ثمّ نهى ثانياً عن طلب تحقيق ذلك الظن ليصير علماً بقوله سبحانه ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢]، ثمّ نهى ثالثاً عن ذكر ذلك إذا علم، فهذه أمور ثلاثة مترتبة: ظن، فعلم بالتجسس، فاغتياب)[٣] .

ويمكن أن نلحظ جمالية التعبير القرآني من خلال الختم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُرَات الآية ١٢]، وذلك من خلال تناسب هذا التذييل مع السياق، فالسياق يتكلم عن ذنوب كبيرة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وليس هو ذنب واحد بل ثلاثة ذنوب يجر بعضها بعضا إلى أن يصل إلى آخرها وأشدها، إلا وهو الغِيبَة، التي تعد من الكبائر؛ لشدة التحذير منها، حتى شبهها الله سبحانه وتعالى بأكل لحم الميت، وهو من أكبر الكبائر؛ لذلك ناسب أن يكون الختام بـ(التواب الرحيم)، فهاتان الصفتان تدلان على المبالغة في قبول التوبة، وإفاضة الرحمة، والمعنى أنّ الذي يذنب هذه الذنوب الكبيرة العظيمة، عليه أن لا يقنط من رحمة الله وعفوه؛ لأنّ الله (تواب رحيم) مبالغٌ في قبولِ التَّوبةِ ومتكرم برحمته عن عقوبتهم بعد متابهم.

- **المطلب الرابع : قبول توبة من أصلح وبيّن من أهل الكتاب .**

نزلت هذه الآيات في علماء أهل الكتاب، الذين كتموا ما أنزل الله من الآيات البينات، والدلائل الواضحات التي تدل على صدق النبي ﷺ، ففضحهم الله تعالى بهذه الآيات التي سجلت عليهم وعلى أمثالهم اللعنة العامة الدائمة، ثمّ استثنى الله عزوجل من ذلك من تاب وأصلح وبيّن ما قد كان كتم[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البَقَرَة من الآية ١٥٩ الى الآية ١٦٠] ، أي: إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله تعالى من الآيات البيّنة والهدايات والدلائل

(١) أخرجه الإمام مسام في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة، رقم(٢٥٨٩)، (٤/٢٠٠١).
(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٧٤-٣٧٦)، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٥)، ومدارك التنزيل (٣/ ٣٥٦).
(٣) البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت:٧٤٥هـ)، (٩/ ٥٢١).
(٤) ينظر: تفسير المنار (٢ / ٤١).

الواضحة التي تدل على صدق النبي ﷺ من بعد توضيحه لهم في التوراة أو في الكتب السماوية ، أولئك يلعنهم الله، ويلعنهم كل من تتأتى منه اللعنة، وهم الملائكة والمؤمنون من الإنس والجن، وهذا وعيد شديد لمن قام بكتم ما جاءت به الرسل (عليهم السلام)، من الدلالات البينة والمقاصد الصحيحة، ثمّ استثنى الله سبحانه تعالى من الكاتمين من تاب إليه، ورجع عما كان فيه، وأصلح ما أفسد من حاله، وأظهر ما كتم، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٠] أي: فرجعوا وآمنوا بالنبي ﷺ، وصدّقوا بما جاء به من عند الله، وأصلحوا حالهم بالتقرّب إلى الله عزوجل، بصالح الأعمال، وبيّنوا ما كان موجود في كتبهم، فلم يكتموه ولم يخفوه، فهؤلاء يتوب الله عليهم ويفيض عليهم مغفرته تفضلا منه ورحمة[١].

أمّا تذييل هلتين الآيتين الكريمتين بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٠]، بذكر صفتي (التواب، الرحيم)، ففيه معاني تعبيرية جميلة، فهذه الآيات جاءت بنظم بياني بديع، وهو أنّه تعالى لَمّا بيّن عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله، كان يجوز أن يتوهم أنّ الوعيد يلحقهم على كل حال؛ حتى بعد التوبة؛ فبيّن الله تعالى لهم بأنّهم إذا تابوا واصلحوا وبينوا، تغير حكمهم، ودخلوا في أهل التوبة والرضوان، وزاد توسط اسم الإشارة (فَأُوْلَئِكَ) للدلالة على التعليل وهذا إيجاز بديع، أي فَعِلَّة قبول التوبة من أولئك هي أن يتوبوا ويصلحوا ويبينوا، بعد ذلك تأتيهم البشارة بقبول توبتهم، بقوله: (فأولئك أتوب عليهم) أي: أرجع وأعود عليهم بالرحمة والرأفة بعد الحرمان المعبر عنه باللعنة[٢].

وتذييل هاتين الآيتين، بقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٠]، ترغيبًا في التوبة، وإشعارًا بأن هاتين الصفتين(التواب الرحيم) هما له سبحانه وتعالى، فمن رجع إليه عطف عليه ورحمه، لأنّ من كان شأنه المبالغة في قبول التوبة وسعة الرحمة يقبل توبة التائبين حتى بعد التفريط العظيم منهم[٣]، وهذا من ألطف أنواع التأديب الإلهي؛ فإنّه سبحانه لم يذكر أنّه يقبل توبتهم فقط؛ بل أسند إلى ذاته العلية فعل التوبة الذي أسنده إليهم، وزاد في تأنيسهم وترغيبهم، فقال: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٠]، وانظر في قوله سبحانه:﴿وَأَنَا﴾ فكم تجد فيها من معطيات الأمل والرجاء لمن يلفتهم سبحانه إليه، ويتجلّى عليهم بذاته، بقول ﴿وَأَنَا﴾، وكم تجد في (واو) العطف في قوله ﴿وَأَنَا﴾، من قوى الجذب إلى الله لهؤلاء الضالين الظالمين؟ وهذا كله حتى لا ييأس العبد من رحمة ربه إذا هو عاد إلى ذنبه. فأي ترغيب أبلغ من هذا وأشد

(١) ينظر: بحر العلوم (١/ ١٣٤)، ومعالم التنزيل (١/ ١٩٤)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧٢).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/ ١٤٢)، وتفسير المنار (٢/ ٤١)، والتحرير والتنوير (٢/ ٧٢).
(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٢/ ٧١)، وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، المعروف بـ(تفسير ابن بدران)، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (ت:١٣٤٦هـ)،(ص: ٤١٥).

تأثيرا منه لمن يشعر ويعقل[١].

فما أجمل هذا النظم وما ابدع هذا التركيب الذي تناغم لِيُعطي صورة عظيمة عن الرحمة وعن الصفح وعن التجاوز، فتبارك الله احسن الخالقين.

(١) ينظر: تفسير المنار (٢ / ٤١)، والتفسير القرآني للقرآن (١/ ١٨٣).

الخاتمة

بعد أن قضيت وقتاً ممتعا وجميلاً، وأنا أتجول بيّن رحاب هذه الآيات المباركة، الخاصة: باقتران صفتي (التواب الرحيم)، في القرآن الكريم، وما فيها من جماليات التعبير القرآني، خُرجت بنتائج وتوصيات، أُجملها بما يأتي:

ورد اسم الله (التواب) مفرداً في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، وورد اسم الله (الرحيم) مفرداً في مائة وثلاثة وسبعين موضعاً، واقترن اسمه سبحانه (التواب) باسمه سبحانه (الرحيم) في القرآن الكريم في تسعة مواضع.

أنّ معنى التوبة: هي الرجوع عن الذنب، وأمّا الرَّحمة: فهي منطوية على معنيين: الرقة والإِحسان، فركَّب سبحانه في طباع النَّاسِ الرِّقَة ، وتفرّد هو سبحانه بالإِحسان.

أنّ معنى التوبة في حق الله (جل جلاله)، هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، أمّا معنى الرحمة في حق الله(جل جلاله): فهي الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

أنّ آيات اقتران صفتي:(التواب الرحيم) في القرآن الكريم، المتعلقة في القصة القرآنية، والمغازي، جاءت تتكلم عن ثلاث قصص: (قصة توبة نبي الله أدم(عليه السلام)، وقصة توبة بني إسرائيل من عبادة العجل، وقصة غزوة تبوك وقبول توبة الثلاثة المخلفين) .

وأنّ اقتران صفتي (التواب الرحيم) المتعلقة في الأحكام الشرعية: جاءت تتحدث عن موضوعين مهمين، وهما: (وجوب طاعة الرسول، وذكر عقوبة الزنى) .

أمّا آيات اقتران صفتي: (التواب الرحيم)، المتعلقة في التوجيه والإرشاد، فقد نبهت على أربعة أمور وهي: (الإرشاد بالدعاء للنفس وللذرية بالثبات على الإسلام، الإرشاد إلى الصدقة والتوبة، التنبيه على الآداب العامة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، قبول توبة من أصلح وبيّن من أهل الكتاب).

أنّ الدراسة التعبيرية للقرآن تعد من أهم الدراسات القرآنية الإعجازية وأشملها، لأنّها هي المقصودة بالتحدي والإعجاز للعرب أوّلاً؛ ولأنّها تشمل القرآن الكريم كله، حتى أنّ كل لفظة او حرف أو حركة فيها قصدٌ ومعنى، بخلاف الوجوه الأخرى من الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلا ليست موجودة في كل آية من القرآن ، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها.

برزت لدي خلال هذه الدراسة المتواضعة، قصور البحث والعناية بأسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم؛ لذلك أوصي نفسي والباحثين، بضرورة تكثيف الجهد، لدراسات هذه الأسماء والصفات العظيمة، لِما لها من أثر في النفوس والقلوب

أُرشد الباحثين إلى ضرورة الدراسة التعبيرية وأهميتها للقرآن الكريم، فإنّ القرآن قد بلغ الذروة في هذا المجال، فالدارس في هذا المجال يرى ما أنفرد به القرآن الكريم من الاتساق في المعنى على أكمل وجه وأبهى صورة، فكأنه لوحة فنية واحدة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١- ١٤١٨ هـ.

الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار الحديث - القاهرة.

احكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، دار الفكر - بيروت، تح: د. محمود مطرجي .

البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوقي- د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩ هـ

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

تفسير أسماء الله الحسنى: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح : عبيد بن علي

العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ -١٤٢١هـ.

تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م .

تفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية ، صيدا .

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب(ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة .

تفسير اللباب: أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي(ت: ٨٨٠ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ- ١٩٤٦ م .

تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .

التفسير الوسيط : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ط١- ١٤٢٢ هـ.

تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م .

تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت:١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م .

جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي الطبري(ت٣١٠هـ)، تح: احمد محمد شاكر، طبع مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة بيروت .

الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت: ٢٥٦هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، المعروف بـ(تفسير ابن بدران)، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران(ت:١٣٤٦هـ)، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩١ م .

الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١- ١٤١٨ هـ.

روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء(ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي .

شأن الدعاء: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تح: أحمد يوسف الدّقاق دار الثقافة العربية

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣ هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي الحنفي(ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر - بيروت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري:أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(ت: ٨٥٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم أبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب .

فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد المقدسي الحنبلي(ت: ٩٢٧هـ)، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ، ط١ ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٧- ١٤١٢ هـ.

الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم، محمود بن عمرو الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

كلمات في ما اقترن من الأسماء الحسنى في كتاب الله: أ. د. أمير الحداد، ط١، الكويت، ٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ.

لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت: ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، راجعه قدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(ت: ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي(ت:٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.

معاني القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي(ت:١٣٨٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت: ٥١٠هـ)، تح:: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ): دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣- ١٤٢٠ هـ.

المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.

مقاييس اللغة: أبوالحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي(ت: ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

ناسخ القرآن ومنسوخه: جمال الدين أبوالفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ)،تح: أبوعبد الله العاملي بن منيرآل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصارى - بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م .

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبومحمد(ت:٤٥٦هـ)،تح: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦، بيروت .

نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: لأبي محمد محمود بن أحمد بن الحنفي، بدر الدين(ت: ٨٥٥هـ)، تح: أبوتميم ياسربن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد:أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني ، د. عبد الرحمن عويس، قدمه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية،، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م .